واسمات حِجاج الأَخدود

(دراسة بلاغية في القصص النبوي)

دكتور

نوال بنت سعود بن صالح الفرهود

أستاذ البلاغة المساعد بكلية الآداب

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

Markers of The Groove Pilgrims

Rhetorical Study in The Stories of The Prophet

Nawal Al Farhood
Rhetoric and Criticism Department at the Faculty of Arts, Princess Noura Bint Abdul Rahman University , Riyadh, KSA

E-mail : *Ns91farhoud@pnu.edu.sa*

Abstract

Abstract: The subject of the research is: The labelings of the proofing of
the groove. The purpose of this research is to monitor the most prominent bindings in the narrative Hadith and then explaining their function in the evidential structure, that Prophet (peace be upon him) used to confirm and determine the concept of divinity among those who deny Allah divinity. This shows the great role of proofing influence and rhythm. The aim of the research is to prove that the concept of proofing is existed in the styles of the Arabs in nature though it is not seen the same as in the Western thought and the desire to apply the proofing to a Hadithic text as a means of Mohammadi persuasion. It also aims to highlight the importance of proofs and its role in the coherence of narrative construction and the growing impact of this in the audience attraction. The research methodology used is the analytical descriptive approach in monitoring the evidential bindings and its role in binding the arguments to the results throughout the whole text. This research is based on an introduction and a preface to the Prophetic story, with its objectives, types and characteristics then the Hadith text the subject of the study, followed by two fields of research: The first field: The concept of proofing and their synonyms
A -Definition of proofing: language and terminology.
B - Synonyms of proofing.
The second field: The bindings of the proofing in the groove Hadith.
A - Proofing bindings: Definition and types.
B - The bindings of proofing in the narrative groove Hadith.
Finally, the study is followed by a conclusion contains the main findings of the study. Influence.
Keywords : -the groove- pilgrims- rhetorical- the stories OF Prophet

واسمات حِجاج الأخدود(دراسة بلاغية في القصص النبوي)

نوال الفرهود

قسم البلاغة والنقد ، كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن ،الرياض ، المملكة العربية السعودية.

الإيميل: Ns91farhoud@pnu.edu.sa

الملخص

حمل موضوع البحث عنوان "واسمات حجاج الأخدود". وقد سعى إلى رصد أبرز الروابط الواردة في الحديث القصصي، ومن ثمَّ بيان وظيفتها في التركيب الحجاجي، الذي عمد الرسول ﷺ إلى استخدامه؛ لتثبيت مفهوم الألوهية وتقريره لدى منكري ألوهية الله(ﷻ)؛ لما للحجاج من أثر كبير في التأثير والإقناع. ويهدف البحث إلى التدليل على أن مفهوم "الحِجَـــاج" قائم في أساليب العرب بالسليقة، وإن لم ينظر له كما في الفكر الغربي. ومما وجه الرغبة إلى تطبيق الحجاج على نص حديثي لكون ذلك وسيلة من وسائل الإقناع المحمدي. كما يهدف البحث إلى إبراز أهمية الحجاج وتوظيفه في تماسك البناء القصصي والأثر المتنامي لذلك في استمالة الجمهور. أما منهج البحث المستخدم؛ فهو المنهج الوصفي التحليلي، الذي يرصد الروابط الحجاجية وأثرها في ربط الحجج بالنتائج في كامل النص. و قد قام هذا البحث على مقدمة، وتمهيد ذكر فيه القصة النبوية أهدافها، وأنواعها، وخصائصها، ثم نص الحديث موضوع البحث، تلا ذلك مبحثان، هما: المبحث الأول: مفهوم الحجاج ومرادفاته. واشتمل على تعريف الحجاج لغة واصطلاحا، ومرادفات الحجاج. أما المبحث الثاني، فجاء بعنوان: الروابط الحجاجية في حديث الأخدود. واشتمل على الروابط الحجاجية: تعريفها وأنواعها. ثم الحديث عن الروابط الحجاجية في حديث الأخدود القصصي. وعقب ذلك جاءت الخاتمة، التي ذكر فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الأخدود، الحجاج، القصة النبوية، البلاغة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

أما بعد

فإن اللغة وسيلة الاتصال الإنساني القائمة على التأثير والإقناع، طـــرأت عليها تغيرات وتطورات مختلفة على مر العصور. وهذا الاتصال – بلا شك– كان مستوجبا الحجاج؛ لأنه يثبت الفكر و يقويه، أو يدعم الرأي أو وجهـــات النظر المختلفة، مما يشكل ظاهرة أسلوبية، كانت من أهم الظواهر اللغوية التي وجدت عناية تامة بين الحضارات المختلفة.

أهمية البحث:

و تبرز أهمية البحث في هذين الجانبين، و هما:

١–يمثل البحث صورة لتطبيق أسلوب الحجاج المســتعمل منــذ نشــأة التواصل اللغوي وانبعاثه بقوة في البلاغة الجديدة.

٢–تعد القصة النبوية صورة من صور الحجاج القائمــة علــى الإقنــاع والتأثير في جمهور الناس عبر الأزمان؛ و من ثم لذا فالدراسة تشكل تطبيقا نظريــاً لمفهوم الحجاج وروابطه على قصة الأخدود في الحديث النبــوي الشريف.

أهداف البحث:

أما عن أهداف هذا البحث؛ فتمثلت فيما يأتي:

١–التدليل على أن مفهوم الحجاج قائم في أساليب العرب بالسليقة وإن لم ينظر له كما عند الفكر الغربي.

٢–الرغبة في تطبيق الحجاج على نص حديثي كوسيلة من وسائل الإقناع المحمدي.

٣-إبراز أهمية الحجاج ودوره في تماسك البناء القصصي والأثر المتنامي لذلك في استمالة الجمهور.

منهج البحث

يقوم البحث على المنهج الوصفي بأدواته المختلفة عند معالجة ظاهرة الحجاج، سواء ما علق برصد الظاهرة أو تحليلها حيث سيركز البحث على برصد الروابط الحجاجية وبيان توظيفها في ربط الحجج بالنتائج على امتداد كامل النص. و قد جاء اختيار النص موضع التطبيق وفقا لطبيعة عناصر الحجاج و خصوصيتها فيه.

الدراسات السابقة للبحث:

عني الباحثون -مؤخرا- بدراسة الحجاج، ومن ثمّ تطبيق عناصره و دراستها في مختلف المدوناتفي، سواء في نصوص شعرية و نثرية مفردة أو في كتب كاملة؛ لما للحجاج من أهمية بالغة، اعتنى بها البلاغيون كثيرا في الوقت الراهن. و على الرغم من وجود دراسات متقاربة في المنهجية بسبب أهمية الموضوع و محاولة كثير من الدارسين تتبع قضية الحجاج و الوقوف على خصائصها، فإننا لم نرصد تطبيقا للحجاج على حديث قصة أصحاب الأخدود.

ومن الدراسات السابقة التي تعرضت لقضية الحجاج عامة ما يأتي على سبيل المثال لا الحصر:

١-رسالة ماجستير بعنوان: البنية الحوارية والحجاجية. قراءة ثقافية، رسالة الغفران لأبي العلاء المعري أنموذجا؛ مروة فتحي عبد المحسن محمد، جامعة عين شمس، كلية الآداب، ٢٠٠٠م.

٢-رسالة ماجستير بعنوان: الحجاج في شعر النقائض، دراسة تداولية؛ ملكي شامة، جامعة مولود معمري، كلية الآداب، الجزائر، ٢٠٠٩م.

٣-رسالة دكتوراه بعنوان: الحجاج في القرآن، خطاب بني إسرائيل نموذجا؛ هديل أحمد فتحي على يوسف، جامعة عين شمس، كلية الألسن، ٢٠١٠م

٤-رسالة دكتوراه بعنوان: الخطب والرسائل في العصر الأموي: دراسة تحليلية في ضوء نظرية الحجاج؛ سعيد أحمد الجرن، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ٢٠١٢م.

٥-رسالة دكتوراه بعنوان: الحجاج في كتاب البيان والتبيين للجاحظ؛ ليلى جغام، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب، ٢٠١٣م.

مخطط البحث:

سوف يقوم البحث على مقدمة وتمهيد يعقبهما مبحثان و خاتمة، وفق الآتي:

المقدمة:

و شملت المقدمة الحديث عن ذكرأهمية الموضوع، و أهدافه، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة له، و المخطط العام للدراسة.

التمهيد: قصة أصحاب الأخدود.

و يدور الحديث فيه حول ما يأتي:

[١] القصة النبوية أهدافها، أنواعها، خصائصها

[٢] نص الحديث

المبحث الأول: مفهوم الحجاج ومرادفاته، و يتناول ما يأتي:

[١] تعريف الحجاج لغة واصطلاحا.

[٢] مرادفات الحجاج.

المبحث الثاني: الروابط الحجاجية في حديث الأخدود. و تشمل ما يأتي:

[١] الروابط الحجاجية: تعريفها وأنواعها.

[٢] الروابط الحجاجية في حديث الأخدود القصصي.

الخاتمة: و تعرض أهم النتائج التي سيتم التوصل إليها في دراسة الموضوع.

التمهيد

قصة أصحاب الأخدود

أ. القصة النبوية أهدافها، أنواعها، خصائصها

استعان الرسول- ﷺ- بالبناء القصصي كثيرا؛ رغبة منه - ﷺ- في بث القضايا العقدية و أصول التوحيد بما ييسر قبولها و الاقتناع بفحواها؛ لعلمه التام بجاذبية الأسلوب القصصي في استمالة القلوب والأسماع وتحقيق الغاية ومقاصد الدعوة إلى الله. و لما لا! " و أكثر الأنواع القصصية ميزة و ترابطا وجاذبية، القصص القرآني و النبوي. فالقصص يقع في القرآن الكريم والمروي النبوي موقع الدال الحقيقي على ما وقع للأقوام والأمم السابقة، من أحداث ومواقف وتبعات ونتائج... كانت كلها من أفعال أصحابها، أو نتائج لأعمالهم وأفكارهم وكل ما انتهى إليه أمرهم، إنما من صنيع أيديهم وما اقترفت جموعهم من آثام أو ما صار إليه حالهم بعد الإيمان واليقين"(١)، كذلك خصوصية القصِّ و القاصص لهما أثرهما، "ومن المعلوم -أيضا- أن القصص القرآني، وإن تكفّل بذكر طائفة كبيرة من حوادث الأمم و وقائع الرسل مع أقوامهم وملوك قراهم، فإن طريقة عرضه لها تنبئ بخضوعها، وملاءمتها لما تهدف إليه الدعوة القرآنية ذاتها، فقد اختيرت الحوادث، وحكيت لتؤدي الأغراض- نفسها- التي قدّر للقرآن أن يعتني بها في المرحلة المكية، من إرساء لعقيدة التوحيد و إثبات لحقبة البعث، ومن ترغيب و تبشير للمؤمنين، وإنذار وترهيب للمعرضين، ومن تدليل على ضرورة النبوّة، وتثبيت لقلب الرَّسول الكريم، ومن بيان لمهمة الرسالة، وما تحمل من تكاليف

(١) القصة في الحديث النبوي، دراسة أسلوبية، كريمة حجازي، "أطروحة دكتوراه" الجزائر، جامعة باتنة، ٢٠١٧، ص ١٣

فردية واجتماعية"[1]. والقصص النبوي من الطبيعي أن يكون متمما لما أورده القصص القرآني ويسير ردفه غرضا و أسلوبا و قصدا.

ب. أنواع القصص النبوي:

وتنقسم القصص النبوية–عامة– تبعا لأنواعها إلى الأنواع الآتية:

١–قصص تاريخي مأخوذ من أحداث التاريخ، تلك التي حدثت وقائعها فيما مضى من سالف الدهر.

٢–القصص الذاتية الشخصية التي وقعت للنبي– ﷺ– في حياته.

٣–القصص الغيبية المستقبلية، التي تحدثت عن أمور الغيب الدنيوي والأخروي.

وتعد قصة "أصحاب الأخدود" موضع التطبيق و التحليل –هنا– من النوع الأول، وهو القصص التاريخي، الذي يعرض حدثا و وقائع تاريخية، لها أدلتها في مدونات تاريخية حضارية، عرضها القرآن الكريم عرضاً موجزا؛ وفق غايته من من هذا القصِّ الحكيم، و و بيان الحكمة المقصودة من هذا الطرح القويم، الذي وُجِّه للمؤمنين خاصة، و لكل ذي لب عامة، لكل من يعي اختصاص القرآن الكريم بقصص تاريخي معين، اختصه عرضا و بيانا دون غيره من القصص التاريخي على امتداد التاريخي الإنساني.

خصائص القصص النبوي:

يمتاز القصص النبوي بمزايا وخصائص يميز بها عن أي قصص مناظر عبر الأجيال و الحقب المتعاقبة، ومن تلك المزايا ما يأتي:

١–الواقعية والصدق في سرد الأحداث الحقيقة والجنوح عن الخيال.

---

(١) المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، محمد التومي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٧هـ–١٩٨٦م، ص٧١

٢-سمو أهداف القصِّ وتجسيد المثل العليا في الشخصيات والأحداث المصورة موضع الذكر.

٣-اعتماد القصص النبوي على البناء الموجز، بعيد الاسترسال والاستطراد دون جدوى منه.

٤-استلهام عنصر التشويق في تصوير المواقف عن طريق السرد والحوار النابض بالحياة.

ب- نص الحديث:

أما النص موضع التحليل و التمثيل للنموذج القصصي النبوي؛ فهو ما ورد في الحديث الآتي:

حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ

جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ و تَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ

سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ "(١)

هذا هو الحديث الذي ذكَر لنا قصة أصحاب الأخدود، التي تدور أحداثها حول ملك وغلام وساحر وراهب، وقد اختصرها القرآن الكريم في سورة البروج في قوله ﷻ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾(٢).

ثم وردت تفصيلاتها في القصة النبوية المطهرة.

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٢٢٩٩/٤، رقم الحديث (٣٠٠٥).

(٢) البروج ١-١٠

المبحث الأول

مفهوم الحجاج ومرادفاته

أ- تعريف الحجاج لغة واصطلاحا:

الحجاج لغة:

حجج: الحَجُّ: القصدُ. حَجَّ إِلينا فلانٌ أَي قَدِمَ؛ وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: قَصَدَهُ. وحَجَجْتُ فُلَانًا واعتَمَدْتُه أَي قَصَدْتُهُ. ورجلٌ محجوجٌ أَي مَقْصُودٌ. وَقَدْ حَجَّ بَنُو فُلَانٍ فُلَانًا إِذا أَطالوا الاخْتِلَافَ إِلَيْهِ؛ وَمِنْ أَمثال الْعَرَبِ: لَجَّ فَحَجَّ؛ مَعْنَاهُ لَجَّ فَغَلَبَ مَنْ لاجَّه بحُجَجه. يُقَالُ: حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَجِ الَّتِي أَدْلَيْتُ بها؛ وقيل: مَعْنَى قَوْلِهِ لَجَّ فَحَجَّ أَي أَنه لَجَّ وتمادَى بِهِ لَجاجُه، والحُجَّة: البُرْهان؛ وَقِيلَ: الحُجَّة مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْمُ.

وَقَالَ الأَزهري: الحُجَّة الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ. وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ. والتَّحاجُّ: التَّخاصُم؛ وَجَمْعُ الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً: نَازَعَهُ الحُجَّةَ. وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه. وَفِي الْحَدِيثِ: فَحَجَّ آدمُ مُوسَى أَي غَلَبَه بالحُجَّة. واحْتَجَّ بالشيءِ: اتَّخَذَهُ حُجَّة؛ قَالَ الأَزهري: إِنما سُمِّيَتْ حُجَّة لأَنها تُحَجُّ أَي تقتصد لأَن الْقَصْدَ لَهَا وإِليها؛ وكَذَلِكَ مَحَجَّة الطَّرِيقِ هِيَ المَقْصِدُ والمَسْلَكُ. وَفِي حَدِيثِ الدَّجَّالِ: إِن يَخْرُجْ وأَنا فِيكُمْ فأَنا حَجِيجُه أَي مُحاجُّهُ ومُغالِبُه بإِظهار الحُجَّة عَلَيْهِ. والحُجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ. يُقَالُ: حاجَجْتُه فأَنا مُحاجٌّ وحَجِيجٌ، فَعِيل بِمَعْنَى فَاعِلٍ. وَمِنْهُ حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ: فَجَعَلْتُ أَحُجُّ خَصْمِي أَي أَغْلِبُه بالحُجَّة."[1]

(١) لسان العرب لابن منظور، دار صادر ، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ:٢/ ٢٢٦و٢٢٨

الحجاج اصطلاحا:

عرف "بيرلمان وتيتيكا" الحجاج بأنه "دراسة التقنيات الخطابية، التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد من درجة ذلك التسليم"(١)، كما أطلق بيرلمان مصطلح الخطابة الجديدة على دراسة تتناول الحجاج، بوصفه خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي والتأثير في سلوكه، أي الإقناع(٢). ومن ثمَّ فإن حدَّ الحجاج يمثل فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي؛ لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، وهو -أيضا- جدلي؛ لأن هدفه إقناعي(٣). فالحجاج" جنس خاص من الخطاب، يبنى على قضية فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا، قاصدا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية." (٤)

مرادفات الحجاج:

هناك مجموعة من المصطلحات، التي ورد الخلط كثيرا بينها وبين الحجاج كالاستدلال والبرهان والجدل، إلا أن هناك فروقا دقيقة بينها و بين "الحجاج". إذ لا يصح -كما هو معلوم -القول بالتطابق التام بين المترادفات، ويمكن بيان الفروق فيما بينها وفق الآتي:

---

(١) ينظر: في نظرية الحجاج، دراسة وتطبيقات: عبد الله صولة، ط١، مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠١١م، ص ١٣.

(٢) ينظر: البلاغة والاتصال، مرجع سابق، ص ١٠٥.

(٣) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: طه عبد الرحمن، ط٢، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م، ص ٦٥.

(٤) ينظر: النص والخطاب و الاتصال: محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠١٤ م، ص ١٤٧.

- **الدليل في اللغة**: المرشد إلى الشيء والهادي إليه. وفي الاصطلاح: "ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري."(١)

- **أما البرهان**: فهو بيان الحجة وإيضاحها، وقد يطلق البرهان على الحجة نفسها وهي التي يلزم التصديق بها التصديق بشيء(٢) وأما الجدل فهو طريقة في المناقشة والاستدلال بالحجة أو البرهان.(٣)

وفي ضوء ما سبق يتضح الفرق بين هذه المصطلحات جميعها في أن الحجة تعني الدليل، الذي يقصد للعمل به، ولتحصيل الغلبة على الخصم، فضلا عن ذلك فإن كلمة(حجاج) بحكم صيغتها الصرفية الدالة على معنى المشاركة في تقديم الحجج، وعلى مقابلة الحجة بالحجة مؤهلة أكثر من كلمة الاستدلال لتؤدي مفهوما مهما جدا تقوم عليه نظرية الحجاج الحديثة، وهو مفهوم المناقشة والحوار(٤).

والبرهان مأخوذ على أنه حقيقة يقينية راسخة كالحقائق الرياضية مثلا، وإنما الباعث أو المحرك الأول للحجاج هو الاختلاف، ولهذا سميت الحجة التي تفيد اليقين بالحجة البرهانية، وجعلها البعض ضربا من ضروب الحجاج،

---

(١) أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، عياض السلمي، ١٤٢٦هـ، ٩٤/١.

(٢) ينظر: كشاف الإصطلاحات والفنون والعلوم: محمد على التهاوني، تحقيق: رفيق العجم، وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ١٩٩٦م، ص٣٢٤.

(٣) ينظر: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص: صابر الحباشة، ط١، صفحات للدراسات والنشر، سوريا– دمشق، ٢٠٠٨م، ص ٦٩، و المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ص ٥٩.

(٤) ينظر:اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: د. طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨م ص ١٣٧. و الحجاج في القرآن، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: عبد الله صولة، ط٢، دار الفارابي، بيروت لبنان، ٢٠٠٧م ص ٩.

فضلا عن كونها ضربا من ضروب الاستدلال فيما يعرف بالاستدلال البرهاني، والذي ظل على الرغم من انتقاله بين علوم مختلفة يحافظ على حده المنطقي الأول فهو على العموم مجرد استنتاج قضية من أخرى استنتاج لزوم وتوقف وضرورة، ومن ثم كان الحجاج أعم وأشمل من البرهنة فهو ينطلق من مبدأ الحرية ويقوم على الحوار(١)

ويشترك الحجاج مع البرهان أيضا في كونه يُبنى على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء للعلم بها، إلا أن الحجاج يزيد عن البرهان؛ إذ يكون فيه طلب العلم بالحقيقة الواقعة تابعا لطلب العمل بالقيمة المطلوبة، بمعنى أن الحجاج يزدوج فيه طلب معرفة الواقع وطلب الاشتغال بقيمته، وخلاصة القول أن المستدل البرهاني مطالب بتحصيل قصد واحد فقط، وهو: قصد العلم بالشيء، في حين أن المستدل الحجاجي مطالب بتحصيل قصدين اثنين، وهما: قصد العلم بالشيء، و قصد العمل به، الذي يتأتى من استخدامه للتقنيات الخطابية، التي تسمح بإحداث ميل لدى السامع إلى الأطروحات التي يعرضها على مسامعه أو التي تسمح بتعزيز ذلك الميل، الأمر الذي يدفعه إلى القيام بالعمل.

وهذا ما يجعل الاختلاف بين "الحجاج" و"البرهنة" أمرا من قبيل المسلمات، ومن ثمَّ، فإن الحجاج يقوم على مبدأ التفاعل والمشاركة بين

---

(١) ينظر:البلاغة والاتصال: د. جميل عبد المجيد، دار غريب، القاهرة،٢٠٠٠م، ص١٠٦، و ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة: عبد الرحمن حنبكة الميداني، ط٤، دار القلم، سوريا- دمشق،١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص٢٩٨، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص٩.

المُحاجِج و المتلقي بهدف إقناعه بخلاف البرهنة.(١) التي تقتصر على تقديم الأدلة بعيدا عن درجة قوتها أو موقف القبول أو الرفض لها من قبل المحاجَج.

أما الجدل فهو أضيق حيزا من الحجة، حيث يقتصر على الجانب الذهني في إقناع المتلقي. أما الحجة؛ فهي إقناع ذهني كالجدل، إضافة إلى تأثيرعملي كالخطابة؛ لذلك كل جدل حجاج، و ليس كل حجاج جدل.(٢)

وبناء على ما تم توضيحه نستنتج أن الحجاج بوصفة آلية حوار لغوي يقوم على الحرية و التفاعل بين الطرفين، و يستعين بعوامل أخرى مساعدة؛ لتحقيق الإقناع وتوجيه السلوك، ولا يمكن أن يحدث الحجاج إلا في وجود عدم اتفاق، يقتضي حله بالمواجهة الخطابية اللغوية، و ليس بالقوة والعنف والمواجهات العسكرية، ومن ثمَّ كان الاختلاف هو الباعث أو المحرك الأول للحجاج.(٣) فحقيقة الحجاج أداة اتصال و لتقريب مناطق الاختلاف و التباعد؛ بغية الوصول إلى الحقيقة أوالصواب أو أقرب جادة بين طرفين. لذلك ربط القرآن الكريم سلوك الحجاج بسمو الأداة؛ فهذا ما يدعم الحجاج و يحقق غايته، كما جاء قوله ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(٤).

---

(١) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق ص٢٣٠ و ٢٣١، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص: صابر الحباشة، ط١، صفحات للدراسات والنشر، سوريا– دمشق، ٢٠٠٨م، ص٦٩، البنية الحجاجية في الأحاديث القدسية، دينا عبدالرحمن حسن، ١٤٣٩هـ–٢٠١٨(رسالة دكتوراه) ص ١٦و١٧.

(٢) ينظر: الحجاج في القرآن، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص ٢٨، البنية الحجاجية في الأحاديث القدسية، ص ١٧.

(٣) ينظر: تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون، جيل جوتيه، ترجمة: د. محمد صالح ناجي الغامدي، ط١، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، ص ١٤، البلاغة والاتصال، ص١٠٦.

(٤) النحل:١٢٥

المبحث الثاني
الروابط الحجاجية في حديث الأخدود

أ. الروابط الحجاجية: تعريفها وأنواعها.

تعد الروابط و العوامل الحجاجية المؤشر اللغوي الأساسي والبارز، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج يكمن في بنية اللغة نفسها(١)، وقد ارتبط مفهوم الروابط في دراسات عديدة بالمباحث النحوية والدلالية من دون النظر إلى وظيفتها الحجاجية والتداولية (٢)، إذ عدَّ بعض الدارسين " وظيفتها لا تتجاوز الربط بين الجمل والقضايا، أما بعدها الحجاجي؛ فقد برز – عند ديكرو– في إطار صياغته للتداولية المدمجة وهي النظرية التداولية."(٣) و يشترط لسلامة العملية الحجاجية الربط بين الحجة والنتيجة بمؤشرات؛ تقوم بالحصر والتقييد للإمكانيات الحجاجية بالربط بين قولين أو حجتين أو أكثر، ويمكننا أن نفيد من معاني الحروف في الدراسة الحجاجية"(٤)

و يمثل الرابط في هذه العملية الحوارية بين طرفي الحجاج: "كل لفظ يمكن من ربط قضيتين أو جملتين أو أكثر لتكوين قضايا وجمل مركبة"(٥). أما ما يختص بما تقوم به الروابط في هذه العملية فإن "للروابط وظائف متعددة:

---

(١) ينظر: اللغة والحجاج ص ٥٥

(٢) انظر: الروابط الحجاجية في توقيع أبي محمد الحسن العسكري إلى إسحاق بن اسماعيل النيسابوري، د عبدالإله العرداوي، جامعة الكوفة، مجلة دواة، ٢٠١٥، ص ٣٨.

(٣) معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب مابين ١٩٨٩م –٢٠٠٠م،عمر بلمخير، "أطروحة دكتوراه"، كلية الآداب و اللغات، جامعة الجزائر، ٢٠٠٥–٢٠٠٦م، ص١٩١

(٤) الروابط الحجاجية في شعر أبي الطيب المتنبي "مقاربة تداولية" اطروحة ماجستير، خديجة بو خشرة، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠٠٩–٢٠١٠، ص ٣٠

(٥) آن ربول، جاك موشلار:التداولية اليوم، علم جديد للتواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٣،ص ٢٦٥

منها الوصل أو الفصل، و التتابع، و الشرح و التفسير، و لكل رابط وظيفة أساسية في الخطاب. ويتم الربط بين الحجة و النتيجة بروابط حجاجية، وهي تمثل شرطا أساسياً لتحقيق الحجاج."[1]

وتقسم الروابط الحجاجية وفق معيارين في التركيب الحجاجي، جاءا بيانهما على النحو الآتي:

أولا: الروابط الحجاجية بعَدّها معيار الوظيفة داخل التركيب الحجاجي، وهي:

[أ] الروابط المدرجة للحجج، وهي: إنَّ، وأنَّ، وقد، والكاف، ولو.

[ب] الروابط المدرجة للنتائج، وهي: حتى، وأما، وإذ، وإذن، وكي.

ثانيا: الروابط الحجاجية بعَدِّها معيار العلاقة بين الحجج في التركيب الحجاجي، و تتمثل فيما يأتي:

[أ] روابط التعارض الحجاجي وهي: لكن، وبل، ومع ذلك، وأم، وغير، وأنَّ.

[ب] روابط التساوق الحجاجي وهي: ثمَّ، و الفاء، و الواو، وأو، ولاسيما[2].

أ- الروابط الحجاجية في الحديث:

وقد اقتصرنا في هذه الدراسة على حتى الغائية و حروف العطف؛ نظرا لتوظيف النص الحديثي لها بشكل لافت. كما أنها يمثلان أهم موجهات الحجاج سواء تجاه النتيجة و الهدف الحجاجي "حتى" الغائية، أو عناصر الربط و الاتصال و المشاركة و التفاعل بحروف العطف وفق توظيفها في النص.

---

(١) انظر: الروابط الحجاجية في شعر أبي الطيب المتنبي،ص ٢٩.

(٢) انظر: الحجاج في اللغة ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، تقديم حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث،ج١،الأردن ط١،٢٠١٠،ص ٦٣،والعوامل الحجاجية في اللغة العربية،عز الدين الناجح، مكتبة علاء الديننصفاقس،تونس،ط١،٢٠١٨،ص ٢٩.

١- حتى الغائية

وقد جاءت "حتى" في قصة أصحاب الأخدود؛ لتحقيق غايات حجاجية تتواتر جميعا؛ لتحقيق غاية حجاجية كلية من هذه القصة " وتربط " حتى" بين حجتين أو حجج عديدة، وهذه الحجج متساوقة؛ بمعنى أنها تخدم نتيجة واحدة، وتكون الحجة التي تلي الرابط "حتى" هي الحجة الأقوى" [(١)]، فهي بذلك تعد مدرجة للحجج القوية.

ومن مواضع حتى في القصة ما يلي:

- اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ

فقد أورد الغلام حجتين متساوقتين لتحقيق نتيجة واحدة وهي التحقق والتثبت من هو الأفضل عند الله هل هو الراهب أم الساحر ليقتفي أثره. وقد كانت الحجة الأقوى هي مضي الناس بعد زوال الدابة الناشئ عن الدعاء، ويمكن ترتيبها وفق السلم الحجاجي الآتي:

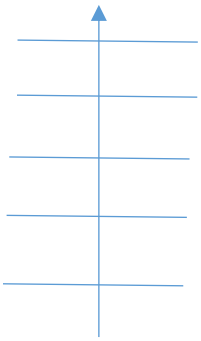

"ن" "مضمرة"	التحقق من الأفضل عند الله
"ح ٣"	مضي الناس بعد زوال الدابة "الحجة الأقوى
الرابط الحجاجي	حتى
"ح٢"	قتل الدابة
"ح١"	الدعاء

- ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَام

(١): اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ط١، الدار البيضاء، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٦م ص ٧١، ٧٢.

وقد استخدم السياق حجتين هما استجواب الأعمى والحجة الأخرى التعذيب لأجل الاعتراف للوصول إلى نتيجة واحدة مضمرة وهي التوصل إلى الغلام. ويمكن تمثيل ذلك على النسق الآتي:

السلم الحجاجي الآتي:

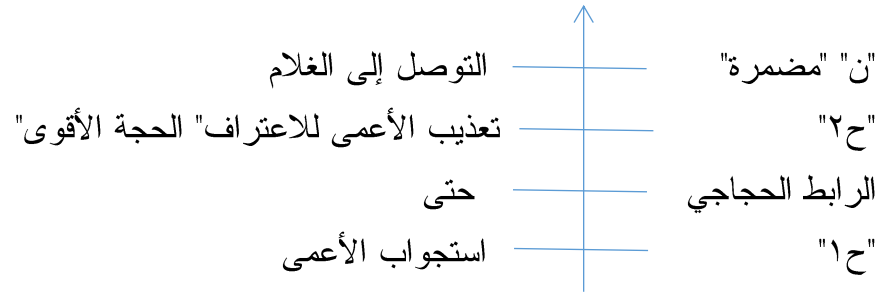

- فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ

وقد استخدم هنا ثلاث حجج هي: الوصول للراهب، و مجيء الغلام ثم تعذيبه، ومن ثم أقوى الحجج وهي الوصول إلى الراهب لتحقيق النتيجة وهي القضاء عليه.

وهذا يتمثل في الشكل التالي:

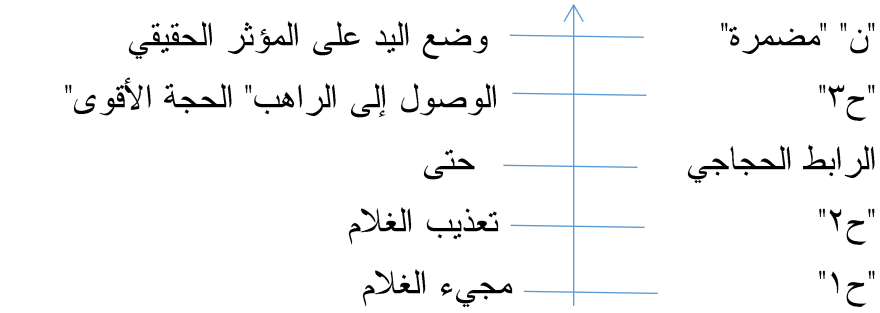

- **فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ**

والوارد هنا أربع حجج أدت إلى نتيجة مضمرة هي القضاء على تأثير الراهب في حياته وبعد موته، وهذه الحجج قد جاءت متدرجة، فكل حجة تستدعي ما بعدها، و تكون نتيجة لما قبلها، فمحاولة ثني الراهب عن دينه تستلزم إحضار آلة القتل في حال رفضه، و إحضار آلة القتل يستلزم وضعها على مفرق الراهب، الذي يفضي الأمر في النهاية إلى قتله، و بذلك تتحقق النتيجة.

ويمكن إيراد الحجج والنتيجة وفق السلم الآتي:

"ن" " مضمرة" القضاء على تأثير الراهب

"ح٤" قتل الراهب" الحجة الأقوى"

الرابط الحجاجي حتى

"ح٣" وضع آلة القتل على مفرق رأس الراهب

"ح٢" إحضار آلة القتل

"ح١" ثني الراهب عن دينه

- **فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ**

ولتحقيق نتيجة إيمان الناس بالله تعالى ساق الغلام ثلاث حجج ، الأولى رجوع الغلام للملك، الثانية محاولة التأثير في الملك، أمر الغلام للملك بما يوجب قتله، وتتضح الصورة وفق السلم الآتي:

"ن" مضمرة إيمان الناس بالله تعالى

"ح٣" أمر الغلام للملك بما يوجب قتله "الحجة الأقوى"

الرابط الحجاجي حتى

"ح٢" محاولة التأثير في الملك

"ح١" رجوع الغلام للملك

- فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا

ولتحقيق قتل كل من آمن بالله تعالى بعد موت الغلام ساق الملك مجموعة من الحجج المتدرجة على النحو التالي:

الأولى حفر الأخدود والثانية إضرام النار والثالثة زج من لم يرجع عن الدين والرابعة شمولية العذاب للناس جميعهم صغيرهم وكبيرهم تخويفا لمن لم يؤمن بعد ذلك، ويمكن إبراز الحجج بنتيجتها وفق الآتي:

وفق السلم الآتي:

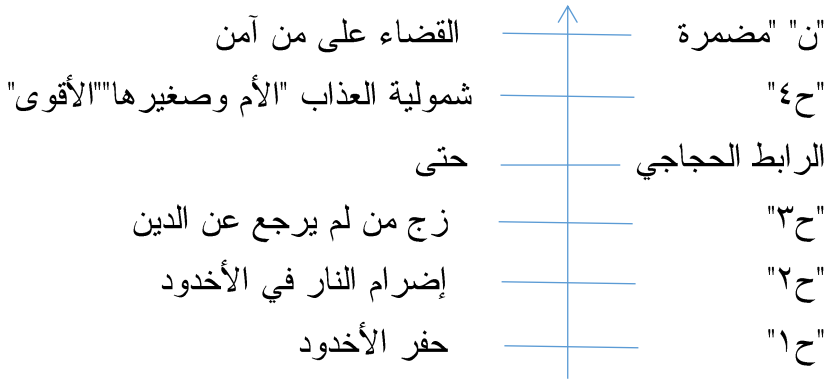

٣-حروف الوصل

من الروابط الحجاجية المستخدمة في ترتيب الحجج - مضمرة كانت أو صريحة - حروف الوصل، التي تربط بين مجموعة حجج متدرجة القوة؛ لتؤدي نتيجة واحدة سواء أكانت مضمرة أم صريحة. "وإذا كانت العلاقة

الترتيبية بين الحجج داخل السلم الحجاجي عمودية، فإن حروف العطف تقــوم بالربط النسقي على المستوى الأفقي" (١)

ومن حروف العطف التي وردت في حديث الأخدود الواو والفاء وثم.

أ- الواو

ح١	الرابط	ح٢	ن
فَقَعَدَ إِلَيْهِ	وَ	سَمِعَ كَلَامَهُ	معرفة الغلام للحق
قَتَلَهَا	وَ	مَضَى النَّاسُ	إثبات أفضلية الراهب
يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ	وَ	يُدَاوِي النَّاسَ	كرامة الغلام
تَفْعَلُ	وَ	تَفْعَلُ	الزيادة في كرامة الغلام
تَجْمَعُ النَّاسَ	وَ	تَصْلُبُنِي	البرهنة على ألوهية الله
جَمَعَ النَّاسَ	وَ	صَلَبَهُ	التخلص من الغلام
فَخُدَّتْ	وَ	أَضْرَمَ النِّيرَانَ	تهديد الناس لترك الإيمان

ب- ثم

- "فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَــدَعَا بِالْمِئْشَــارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ".

فالتخلص من الراهب أولا، ثم المجيء بجليس الملك كانت حججا للوصول إلى محاولة صرف الجليس" الأعمى " عن إيمانه. عبر حجتين مهدتا للنتيجة. ورد تتابعها على النسق لآتي:

ح١	الرابط	ح٢	ن
موت الراهب	ثم	المجِيءَ بالجليس	محاولة صرف الجليس عن إيمانه

(١) انظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية: عبد الهادي بن ظــافر الشــهري، دار الكتاب المتحدة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م. ص ٤٧٣

- " فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ"

فنتيجة ترهيب الناس من الإيمان بالله تعالى ساق لها الملك حجتين قويتين أولاهما قتل الأعمى وثانيهما استدعاء الغلام لقصر الملك

ح١ ← الرابط ← ح٢ ← ن

موت الأعمى ثم الإتيان بالغلام ترهيب الناس

- تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي

فالبرهنة على ربوبية الله ساق لها الغلام حججا متصاعدة تبدأ من جمع الناس تحقيقا للدعوة وصلب الغلام ثم أخذ السهم ووضعه في كبد القوس ثم التسمية برب الغلام ثم رمي الغلام حتى الموت.و تتمثل في الآتي:

ثبات الغلام على موقفه رغم محاولات قتله ح١

" ثم " الرابط

إحكام الغلام لخطة قتله المبرهنة لربوبية الله ح٢

البرهنة على ربوبية الله ن

كذلك هذا التتابع المرافق بتعدد الرابط:

جمع الناس في صعيد واحد وصلب الغلام ح١

ثم الرابط

أخذ سهم من كنانة الغلام ح٢

ثم الرابط

وضع السهم في كبد القوس	ح٣
ثم	الرابط
قول بسم الله رب الغلام	ح٤
ثم	الرابط
رمي الغلام	ح٥
البرهنة على ربوبية الله	ن

• " فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ".

ففي هذا النص تحقق موت الغلام، سيق له حججا متتالية. تبدأ بجمع الناس تحقيقاً للقتل، ثم أخذ السهم، و وضعه في كبد القوس، ثم قول بسم الله رب الغلام، ثم رميه. و جاء تنظيمها على النسق الحجاجي الآتي:

جمع الناس في صعيد واحد وصلب الغلام	ح١
ثم	الرابط
أخذ سهم من كنانة الغلام	ح٢
ثم	الرابط
وضع السهم في كبد القوس	ح٣
ثم	الرابط
قول بسم الله رب الغلام	ح٤
ثم	الرابط
رمي الغلام	ح٥
تحقق موت الغلام	ن

وهذه الحجج السابقة مبطنة بحجج رئيسة تخدم نتيجتين رئيسيتين، واحدة تخص الملك، والأخرى تخص الغلام. أما ما يخص الملك؛ فمن الممكن أن يمثل له بقتل الراهب، ثم قتل الأعمى، ثم قتل الغلام؛ لاجتثاث جذور الربوبية و فروعها، وهذا ما يرسم وفق النسق الآتي:

قتل الراهب	ح١
قتل الأعمى	ح٢
قتل الغلام	ح٣
اجتثاث جذور الربوبية و فروعها لغير الملك	ن

كذلك:

إصرار الغلام على العودة للملك في كل مرة	ح١
تكرار الغلام كفاية الله له في كل موقف	ح٢
إلزام الملك حضور الناس لرؤية مشهد القتل	ح٣
إيمان الجمهور	ن

ج-الفاء

معلوم أن الفاء الواصلة تفيد الترتيب مع التعقيب لذا ترد في مواطن تتطلب سرعة الإنجاز وقد استخدمت كثيرا في الحجاج لربط حجة واحدة تسبقها بنتيجة صريحة تعقبها. ويمكن تمثيل دورها في هذا النص بالشكل التالي

ح	الرابط	ن
إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ،	الفاء	اَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْر
وَسَمِعَ كَلَامَهُ		أَعْجَبَهُ
فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ،		شَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ

إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ قُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي
رَمَاهَا قَتَلَهَا
سَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، أَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ
آمَنَ بِالله شَفَاهُ
قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ أَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ
فَأَبَى دَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ
فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ سَقَطُوا
فَمَاتَ قَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ
قَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ أَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ
قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَعَلُوا
جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا تَقَاعَسَتْ

ونلاحظ في الأمثلة السابقة أن الحجة جاءت مسببة للنتيجة. فعلى سبيل المثال فبعث الغلام لتعلم السحر ناتج عن كبر سن الساحر، و شفاء الأعمى نتيجة إيمانه بالله، ورجف الجبل كان سبباً في السقوط، وموت الغلام سببا في إيمان الناس، و حفر الأخدود نتيجة لإيمانهم وهكذا في بقية المواضع.

و باستعراض هذه النماذج (للواو) نرى أنها قد ربطت بين حجج متصاعدة له فمجالسة الغلام الراهب والاستماع لكلامه يقود إلى نتيجة معرفة الحق، و قتل الدابة ومن ثم مضي الناس حجتان أثبتتا أفضلية الراهب، و حجة إبراء الأكمه والأبرص و ردفها بحجة أقوى، وهي مداواة الناس من كل مرض تدعوان إلى إبراز الكرامة، التي امتاز بها الغلام عن سائر الناس، وهكذا في سائر الحجج المرتبطة بنتائجها المضمرة المستوحاة من سياق الحديث.

الخاتمة والنتائج

وفي نهاية المطاف في ظل الروابط الحجاجية الواردة في نص الأخدود نخلص إلى بيان بعض النتائج التي تتمثل فيما يأتي:

١- الحجاج في القصص النبوي حجاج موجز محكم، وهذا ما ظهر في هذا النص موضع العرض و التحليل.

٢- القصة النبوية – بأكملها- وردت لأجل الحجاج في قضايا عقدية أو اجتماعية أو أخلاقية، وهذا كله وفقا لتنوع الأهداف من سوقها.

٣- اعتماد الرسول -صلى الله عليه وسلم- على الحجاج المستوحى من الحجاج الذي ورد بين شخصيات القصة في سردها وحوارها وأحداثها.

٤- استخدام الحجاج لحروف الوصل المتنوعة بشكل لافت في الربط بين الحجج المتصاعدة في قوتها لإثبات أهداف الباث والمستقبِل.

٥- ملاحظة استخدام حروف الوصل – لما لها من أهمية -في حجج متداخلة تفضي إلى حجج رئيسة تخلص إلى غايات كبرى.

٦- بناء على ما سبق من حجج ونتائج مربوطة بـ"حتى" الغائية، و كون النص قصة متواترة الحوادث يتضح بروز التدرج في حجج النتيجة الواحدة وكذلك في الحجج الكلية للبناء القصصي.

٧- حفول النص بجملة من البراهين والأدلة اليقينية (إبراء الأكمه و الأبرص – شفاء الناس – قتل الدابة بحجر – حديث الصبي في المهد) وذلك لأن هدف الحديث الرئيس هو إثبات ربوبية الله(ﷻ). الأمر الذي يجعل تلك البراهين من المسلمات التي لا مجال لإنكارها أو التشكك فيها.

٨- استخدام النص لرابط العطف" ثم" يعكس مدى توجس الملك وحيرته في كيفية القضاء على الغلام نتيجة الأثر العظيم الذي أحدثه في نفوس الناس.

٩- رغبة الملك الشديدة في سرعة التخلص من مصادر التأثير في عقيدة الناس، المتمثلة في الراهب والأعمى والغلام، و هو ما أدى- توافقا مع سياق الحدث- إلى استخدام "الفاء" المعقبة.

١٠- و في الختام... سعت هذه الدراسة، التي جاءت بعنوان: "واسمات حجاج الأخدود"؛

١١- لكشف قضية الحجاج في نص نبوي قصصي، يشتمل على لغة خاصة تحمل تشويقا

١٢- و جمالية عرض، مطعمة بروابط الاتصال، التي جاءت وشائج تربط سياقات القص

١٣- ربطا متناغما مع طبيعة الحدث الحجاجي، و ما قصده النص من أهداف سامية على المستوى العقدي أو الاجتماعي أو الأخلاقي. و الله الموفق.

المصادر والمراجع

١- أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، عياض السلمي، ط١، ١٤٢٦ه.
٢- استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، دار الكتاب المتحدة، بيروت – لبنانِ، ٢٠٠٤م
٣- البلاغة والاتصال: د. جميل عبد المجيد، دار غريب، القاهرة،٢٠٠٠م
٤- البنية الحجاجية في الأحاديث القدسية،دينا عبدالرحمن حسن، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨(رسالة دكتوراه)
٥- تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون، جيل جوتيه، ترجمة: د. محمد صالح ناجي الغامدي، ط١، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م
٦- التداولية اليوم، علم جديد للتواصل، آن ربول، جاك موشلار،ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة،بيروت،ط١ ٢٠٠٣
٧- التداولية والحجاج، مداخل ونصوص: صابر الحباشة، ط١، صفحات للدراسات والنشر، سوريا- دمشق، ٢٠٠٨م .
٨- التداولية والحجاج، مداخل ونصوص: صابر الحباشة، ط١، صفحات للدراسات والنشر، سوريا- دمشق، ٢٠٠٨م
٩- الحجاج في القرآن، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: عبد الله صولة، ط٢، دار الفارابي، بيروت لبنان، ٢٠٠٧م
١٠- الحجاج في اللغة ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، تقديم حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث،ج١،الأردن ط١،٢٠١٠،

١١- الروابط الحجاجية في شعر أبي الطيب المتنبي "مقاربة تداولية" اطروحة ماجستير، خديجة بو خشرة، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠٠٩-٢٠١٠

١٢- الروابط الحجاجية في توقيع أبي محمد الحسن العسكري إلى إسحاق بن اسماعيل النيسابوري، أ.د عبدالإله العرداوي، جامعة الكوفة، مجلة دواة، ٢٠١٥

١٣- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة: عبد الرحمن حنبكة الميداني، ط٤، دار القلم، دمشق، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م

١٤- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين صفاقس،تونس،ط١،٢٠١٨

١٥- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: طه عبد الرحمن، ط٢، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م

١٦- في نظرية الحجاج، دراسة وتطبيقات: عبد الله صولة، ط١، مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠١١م..

١٧- القصة في الحديث النبوي، دراسة أسلوبية،كريمة حجازي، الجزائر، جامعة باتنة، ٢٠١٧، "اطروحة دكتوراه"

١٨- كشاف الإصطلاحات والفنون والعلوم: محمد على التهاوني، تحقيق: رفيق العجم، وعلي دحروج، ط١، مكتبة لبنان، ١٩٩٦م.

١٩- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ

٢٠- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: د. طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨م.

٢١- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ط١، الدار البيضاء، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

٢٢- المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، د. محمد التومي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط١٤٠٧،١هـ-١٩٨٦م

٢٣- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت

٢٤- معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ما بين ١٩٨٩م -٢٠٠٠م، عمر بلمخير "اطروحة دكتوراه"،كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر،٢٠٠٥-٢٠٠٦م

٢٥- المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٢٦- النص والخطاب و الاتصال: د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠١٤م.